كيف سيكون الحسم.

وحتى نضع الامر في نصابه، نعود الى استراتيجية الفقير في الانتفاضة، والتي جوهرها الحركة الدائمة، في كل مكان وكل زمان، حتى يضطر العدو الى ان يكون موجوداً دائماً، في كل مكان وكل زمان. هذا هو عامل الديمومة الذي أشرنا اليه، وفيه تتفتّح شرايين استنزاف العدو وتهدر طاقاته. ولقد أثبتت وقائع ثورات التحرير الوطني ان الجبروت وقواته المسلّحة هي التي تتعب وتنهك في نهاية المطاف، وان النصر سيكون لمن صبر وصابر، وجعل الصراع ضد العدوّ سجالاً لا تهدأ الحركة فيه، دون حساب للخسائر والارباح. تلك هي استراتيجية الفقير، في مواجهة استراتيجية الجبروت.

ان مخرجات الصراع بين استراتيجية الفقير، أي الانتفاضة، وبين استراتيجية الجبروت، أي قوة الاحتلال الاسرائيلي، يصعب تحديدها بالحسم في مواضع المواجهة، وانما هي نسيج عناصر معقّدة عدّة، أولها ذلك السجال في ساحات الصراع التي حددتها الانتفاضة في مرحلتها الراهنة، وثانيها التنظيم الشعبي الذي يغذّي السجال بالاطارات المناضلة المنضبطة، وثالثها التعبئة المادية التي تمدّ الانتفاضة بنسغ الحياة اليومية حتى تعيش لتقاتل، ورابعها القيادة التي لا تغيب عن الهدف ولا تُغيّبه، والقادرة على التعامل مع ميزان القوى في كل زمان ومكان.

وحتى تدوم الانتفاضة فاعلة الى يوم بلوغها هدفها، لا بدّ لها من ان تحقق مبدأ الكفاية الذاتية، وبخاصة في المواد الاولية. ويستند هذا المبدأ الى ما تتمتع به أية حركة نضال شعبية من ابداع وقدرات خلّاقة منتجة، فتوفّر لنفسها عوامل الديمومة، وبخاصة في حالة ضمور العلاقة مع الخارج، ونقص الواردات، وشحّ شرايين الاتصال والامداد والتموين.

وعلى هذا، لا مندوحة من ان توفّر القيادات المسؤولة للانتفاضة عامل المناعة ضد الزوال. فان تطلّبت الظروف الانكماش والضمور، حتى الغياب الموقّت، فان عوامل الانطلاق ثانية ينبغي ان تكون كامنة متحفزة.

ومن عوامل الديمومة ان تكون لدى قيادة الانتفاضة رؤية ادراكية للذات، ولقدرات الذات، ولما ليست الذات قادرة عليه، وللعدو وقدراته، وما هو ليس بقادر عليه، وللقدرات العربية، والعالم ومعطياته، وبخاصة ميزان القوى، فهو الاساس، وهو المعيار، وهو الذي يقدّم ويؤخّر، ويطوي وينشر؛ والهدف، دائماً، هو تغيير هذا الميزان، حتى تشال كفة العدو شيئاً فشيئاً، وترجح كفّة الانتفاضة، شيئاً فشيئاً.

ان المنهل الثرّ الذي تستمد منه الانتفاضة طاقتها على الديمومة يتجسّد في ارادة رفض الاحتلال، وفي تجارب المقاومة على مدى عقدين ونيّف من السنين، التي أفرزت بنى تنظيمية داخلية، حاولت اسرائيل، مراراً، اكتشافها وتحطيمها. كما تستمد الانتفاضة استمراريتها من النسيج البشري الذي يكوّنها؛ فقد انتقل جسم النضال من الفئات الوسطى الى الفئات الشعبية، ومن جيل الكهول الى جيل الشباب.

وهذا الانتقال في جسم النضال وفّر للانتفاضة عامل الجدية والاستمرارية. فجيل الشباب، وقد حاصرته ظروف الاحتلال والطرد والسجن والاعتقال والقتل، لم يعد له ما يفعله سوى البطالة ومحنتها ونتائجها. وقد أدّى ذلك، كلّه، الى ان يصبح هذا الجيل، الذي ولد في ظل الاحتلال، وشكّل أكثر من ٧٠ بالمئة من فلسطينيي الارض المحتلة، متفرغاً للانتفاضة، مهما طال زمنها واشتدت معاناتها.